3- نظرية القيم Axiologie:

الأكسيولوجيا أو فلسفة القيم[30] مبحث من مباحث الفلسفة يناقش المسائل المتعلقة بالمثل العليا أو القيم المطلقة ، و هي **الحق** و **الخير** و **الجمال** في ذاتها لا باعتبارها وسائل تفضي إلى تحقيق غايات . و من بين القضايا التي تتناولها الأكسيولوجيا إشكالية : **هل تلك القيم هي مجرد معاني في العقل أم أن لها وجود مستقل عن العقل الذي يدركها ؟**

و نشير هنا إلى أن هذا المبحث يتناول مختلف القضايا المتعلقة بـ :**علم المنطق** ، علم الأخلاق ، علم الجمال . أي من حيث هي علوم معيارية (Normatives) تبحث فيما ينبغي أن يكون ، و ليست علوم وضعية (Positives) حيث تقتصر دراستها على ما هو كائن . هذا و ترجع النواة الأولى لهذا المبحث لنظرية المثل عند **أفلاطون** ومؤلفات **أرسطو** (الآلة في المنطق و الأخلاق و السياسة و ما بعد الطبيعة) و أبحاث الرواقية و الأبيقورية في الخير الأقصى .

أما عند فلاسفة العصور الوسطى فقد ذهب **القديس توما الإكويني** إلى التوحيد بين القيمة العليا و العلة الأولى أي الله باعتباره كائنا حيا أزليا خيرا ، و قد عولجت القيم في التفكير الفلسفي الحديث في علوم فلسفية مستقلة هي العلوم المعيارية كما سبقت الاشارة . و لا ننسى هنا أن **كانط** كان قد تعرض في ثلاثيته النقدية المشهورة لمسألة القيم فخصص كتابه **'نقد العقل الخالص'** لقيمة الحق ، و**' نقد العقل العملي'** لقيمة الخير و أخيرا **'نقد مَلكَة الحُكم'** لقيمة الجمال .

وفي القرن العشرين كان أول من استخدم لفظ الأكسيولوجيا هو بول **لابي** في كتابه**' منطق الارادة '** و **هارتمان** سنة 1906 م ثم توالت بعد ذلك مختلف الأبحاث في سياق مبحث القيم .

3- 1- معنى القيمة Valeur:

يذكر **رويه** أن أول من استخدم لفظة القيمة - و هو باللغة الألمانية (**Wert**) بالمعنى الفلسفي وعمل على ذيوعه هو **لوتز Lotez** و اللاهوتي **ريتشل** . و كلمة قيمة (Valeur) لاتينية الأصل فهي مأخوذة من الفعل Valeo الذي معناه : "أنا قوي" Je suis fort ، و "أنني بصحة جيدة " Je suis en boone santé ، و هو معنى يتضمن فكرة الفعالية و التأثير و الملائمة ، و مع مرور الأزمنة أصبحت الكلمة تدل على معاني أخرى

(30) تسللت **القيمة** إلى معجم الفلسفة حديثا ، و نفذت إلى المذاهب الفلسفية من أبواب متعددة ، و تحت أسماء مختلفة ، و لكنها لم تصبح موضوعا ومبحثا شرعيا من موضوعات و مباحث الفلسفة إلا منذ زمن قصير لا يكاد يتجاوز القرن التاسع عشر ، غير أن الاراء التي تدور حولها لم تتبلور بعد ، و ما تزال أحد الموضوعات المعرضة للنمو و التطور ،إذ لم تظهر مشكلة القيمة في تاريخ الفلسفة إلا تدريجيا و بصورة بطيئة ، لذلك لا نعثر في الفلسفات القديمة ما يجعل من القيم مشكلتها المحورية .

و انتشر استعمالها في ميادين الفكر المختلفة(اللغة ، الرياضيات ، الإقتصاد ، الفلسفة ...) ،هذا و نشير و إلى أنه لا زالت كلمة قيمة باللغة الفرنسية و الكلمات التي تقابلها باللغة الإنجليزية (Worth) و الألمانية لا زالت تحتفظ بشيء من رواسب معناها اللاتيني.

و بالنسبة لكلمة قيمة في الفلسفة فقد جرى استعمالها في مجالات متعددة للدلالة على كلمات كانت شائعة في الفلسفة القديمة مثل الخير ، و الخير الأسمى ، و الكمال ، و يعتبر الألماني **نيتشه** أهم من عمل على انتشارها انتشارا واسعا في الأوساط الفكرية . فنجاح فلسفته و رواجها هو الذي حمَل الفلاسفة على الاهتمام المتزايد بها ، و هي كلمة من الصعب تحديد معنى دقيق لها لأنها كما يقول **اندريه لالاند** تدل غالبا على تصور متحرك ، إذ تمثل انتقالا من الواقع إلى ما يجب أن يكون ، من المرغوب إلى ما يمكن أن يرغب به.

و تعني القيمة من **الناحية الذاتية** الصفة التي تجعل من الشيء مطلوبا أو مرغوبا فيه ، و قد تطلق بهذا المعنى على(قيمة الاستعمال)، و هي من **الناحية الموضوعية** تدل على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير، و عليه فإذا كان الشيء في حد ذاته يستحق تقديرا كبيرا مثل الحق ، الخير، الجمال كانت قيمته مطلقة .

3-2- أنماط القيم :

تعد القيم المطلقة الثلاثة : الحق ، الخير ، الجمال ، من أهم الموضوعات - القيم التي اهتمت بها الفلسفة منذ فجر تاريخها إلى يومنا هذا ، و عليه فهي بمثابة مباحث فلسفية أو غايات لعلوم مشهورة هي علوم الفلسفة المعيارية (Normatives) .

أ- الحق - Droit :

يعد الحق قيمة انسانية مرادفة لما صحيح و صادق ، يسعى نحوها كل تفكير انساني ، و الفلسفة حددت **علم المنطق (Logique)** على أساس أنه يسمح بالتمييز بين صحيح الفكر و فاسده ، و ذلك طبقا لقواعد معينة . هذا و قد اختلفت المذاهب الفلسفية في تحديد معيار الحق ، حيث هناك من يعتبر الحقيقي هو تطابق الفكر مع ذاته (العقلانية) ، في حين يعتبر آخرون أن الحقيقي هو تطابق الفكر مع الواقع (التجريبية)، و يجعل تيار آخر الفائدة أو المنفعة العلمية مقياسا للحقيقة (البراغماتية) ...الخ

ب- الخير- Bien :

هو ما ينتفع به الغير قولا و فعلا و نقيضه الشر ، و الخير هو الحسن لذاته و لما يحققه من لذة أو نفع أو سعادة . و الخير من الناحية الاصطلاحية له عدة تعريفات فهو يعني الكمال و السعادة ، و هو لدى

البعض أسمى القيم و أرفعها و أرقاها ، ففي حين يعتبر **أفلاطون** أن الجمال هو بهاء الخير ، فإن **كانط** يعتقد أن الجمال و الجلال رمزان كاملان لمثال الخير .

أما في المسيحية فنظرتها للخير فقائمة في أساس طاعة القانون الإلهي ، في حين ذهب الإسلام إلى اعتبار الطيب و النافع للإنسان هو الخير نفسه ، و **علم الأخلاق (Ethique)** هو العلم الفلسفي الذي يختص بالبحث في مسائل و قضايا السلوك اذ يسمح بالتمييز بين الخير و الشر ، و به يتم اكتشاف أسباب الشقاء و رسم طريق السعادة .

جـ- الجمال- Beau :

حدده **كانط** بقوله : **" ما يبهج كل الناس و بلا تجريد "** و هو يدل هنا على كل ما يثير لدى الناس شعورا فريدا يسمى الانفعال الجمالي ، و الجمال هو ما يتطابق مع بعض معايير التوازن و المرونة و التناغم و الكمال في نوعه ، و مع صفات و كيفيات أخرى ، و **علم الجمال (الأستطيقا Esthétique)** هو من يسمح لنا بالتمييز بين الجميل و القبيح ، و التعرف على شروط الجمال و وظيفته في حياتنا .

3- 3- طبيعة القيم :

طبيعة القيم إشكالية من إشكاليات فلسفة القيم تتضمن العديد من المسائل من أبرزها :

المسألة الأولى : تتعلق بالتمييز بين القيم من حيث هي صنفان : صنف ينشده الناس كوسيلة لتحقيق غاية و لهذا تختلف باختلاف حاجات الناس و مطالبهم (قيمة العربة ، الكتاب ... مرهونة بما تؤديه من خدمات) و تسمى هذه القيم بالقيم الخارجية ، أم الصنف الثاني فيلتمس لذاته و يطلب كغاية و هي قيم باطنية ذاتية مستقلة بنفسها (جمال الزهرة) هذه الأخيرة قيمتها في ذاتها ، و تسمى هنا هذه القيم بالمثل العليا . و هي وحدها في رأي البعض موضع بحث الفيلسوف ، و لكنها ليست كذلك عند سائر الباحثين ،إلا أنه تجدر الإشارة هنا أن هناك موقف ث فمنهم من يضعون الوسيلة على قدم المساواة مع الغاية عند التقويم فكل من الوسيلة و الغاية يتبادل مركزه و مكانه مع الآخر ، و ليس ثمة غاية مطلقة لا تكون وسيلة لغيرها كما أن من الممكن ان تعد وسيلة غاية في مرحلة من المراحل ، فالحياة تصبح عبئا ثقيلا على الاحتمال إذا لم تكن الوسائل غايات في آن واحد و إذا لم تكن لها قيمتها الخاصة ، أو إذا ظلت الوسيلة دائما كالدواء المر المذاق لا قيمة له في ذاته إلا أن يلتمس وسيلة للشفاء .

المسألة الثانية : ترتبط بطبيعة القيمة من حيث هي **ذاتية** أو **موضوعية، أي هل هي من وضع العقل و اختراعه ، أم هي صفات عينية للأشياء لها وجودها المستقل عن العقل الذي يدركها ؟** فهي ذاتية نسبية خالصة مرجعها إلى الفرد ، و لهذا تختلف بالاختلاف الزمان و المكان و الظروف و الأحوال فالحق

و الخير و الجمال إنما يكون بالقياس إلى كل تفكير و شعور و إحساس ، و كمثال على ذلك فإن القيم الأخلاقية (خير – شر) تبقى ذاتية أي أن الوجود الانساني هو الذي يُبدعها و يُوجدها و يُحددها. و معنى ذلك أنها لا تتمتع بأي استقلال عن السلوك الذي يتصف بها **"فلإنسان هو مقياس الأشياء كلها "** فيما قاله **بروتاغوراس** ، هذا الطرح الذي دافع عنه كل من السفسطائيون و الأبيقوريون في الفلسفة اليونانية و جون بول سارتر و البراغماتيون في الفلسفة المعاصرة . غير أنه هناك من يرى العكس من ذلك، إذ أن القيم تكون موضوعية متعالية مستقلة عن سلوك الفرد و هي ليست من صنعه ، لأن وجودها سابق عليه و بهذا تكون كلية و ثابتة و هو ما يجعلها واحدة بالنسبة لجميع البشر، و من ثمة كانت موضوعية. هذا الطرح الذي تبنته كل من المدرسة العقلية و الاجتماعية و المثالية على حد سواء يقول **أفلاطون** : **" إن الله هو مقياس الأشياء كلها وليس الإنسان "** .

المسألة الثالثة : و هي تتفرع عن الموقف من ذاتية القيم و موضوعيتها ، و يتعلق الأمر هنا بنسبية القيم و إطلاقها ، و هي ليت امتدادا مباشرا لمسألة ذاتية القيم و موضوعيتها ، فليس كل من أقر بموضوعية القيم يسلم أيضا بإطلاقها، و ليس كل من يقول بذاتيتها مقر بنسبيتها .

3- 4 مكانة القيمة في مذاهب الفلسفة :

لا تحتل نظرية القيمة مكانة محددة ضمن مذاهب الفلاسفة و اتجاهاتهم الفكرية ، فهي تنزوي تارة في ركن ضئيل من المذهب عندما لا يعرض لها الفيلسوف إلا بوصفها قيمة خلقية أو جمالية ، أو منطقية أو دينية، أو غير ذلك من صنوف القيم ، و قد تقفز تارة أخرى إلى قمة مذهبه ، فتغدو طابعه الغالب و مبدأه الموجه ، و يكون لها دلالتها المنهجية العامة التي تسوق نظرة الفيلسوف إلى المشكلات الفلسفية جميعا ، و تحكم مواقفه منها ، و حلوله التي يقدمها . و بين تضاؤل ا لاهتمام بمسألة القيم أو استيلائها على كامل اهتمام الفيلسوف يخلص إلى **فيليب وينر** مفادها أن كل المذاهب الفكرية - الفلسفية عبارة عن أطروحات مشحونة بالقيمة سواء صرحت بذلك أو أنكرته . ففلسفة **نيتشه** كلها يمكن أن تعد نظرية في القيمة ، فهو يتخذ من القيمة مبدأ مذهبه و غايته ، و الحياة عنده بمختلف جوانبها عملية متصلة من التقويم . أما **ريكرت** فيعتبر أن القيم عنده لا توجد بوصفها شيئا ماديا بل توجد بتصديقنا عليها و اقرارنا بصحتها ، و لهذا فنحن ملزمون بما ينبغي أن يكون . و **جون بول سارتر** رغم ضآلة ما يخصصه في مؤلفاته لمناقشة مشكلة القيمة أو الأخلاق بصفة عامة ، إلا أن وجوديته كلها أخلاقية الطابع بالمعنى الواسع ، فهو يقول أن غاية الوجودية هي إقامة ملكوت إنساني يكون نسقا من القيم المتميز عن العالم المادي، و الحياة عنده هي المعنى الذي يختاره الإنسان لها . كما يمكن اعتبار الفلسفة البراغماتية أنها فلسفة في القيمة من خلال مبدئها العام و الذي يرى أن الحقيقة رهينة فكرة القيمة .